بسم الله الرَّحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي أعزَّنا بالإسلام، وخصَّنا بـه وفضَّـلنا عـلى سـائر الأنام، وأشهد أن لا إله إلا الله الحـقُّ المبـين، وأشـهد أنَّ محمـدا عبـده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم صلاةً وتسليم الصَّادقين.

أمَّا بعد..

أيها المؤمنون لقد كان النـاس في جاهليـة جهـلاء وظلمـة ظلـماء وضلالة عمياء، يعبدون الأصنام، ويأكلون الحرام، ويَئِـدون البنـات، وينتهكون المحرَّمات، فبعث الله إلـيهم محمَّـدًا ﷺ داعيـا إلى الله بإذنـه وسراجا منيرا، قال تعـالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة] فهدى اللهُ به قلوبا غُلفا، وبصَّر أعينا عميا، وأسمع آذانا صُمًّا، وهدى الله به القلوب بعد فُرقتها فتحالفـت وأرشـدها إلى مـا في الدارين من مصالحها، وتركنا ﷺ على مثل البيضاء ليلها كنهارهـا لا يزيغ عنها إلا هالك، فأدَّى ﷺ في الحق وأعـاد، وقـام وقعـد، وحـثَّ وعقد، حتى صار الناس على بينة من أمرهم، وإذا حاز العبدُ بنفسه من مصالح الدارين فإنَّ الملاذ الآمن والخير الكامل هو في هديه ﷺ.

وإنَّ من جوامع أخبارِه ومـن محاسـن آثـاره مـا أخـبر بـه ﷺ في حـديث حذيفـة العظـيم الـذي رواه البخـاري ومسـلم مـن حـديث الوكيع بن مسلم الدمشقي، عن عبد الرَّحمٰن بن يزيد بـن جـابر، عـن مسلم بن عبيد الله الحضرمي، عن أبي إدريس الخَوْلاني، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخـير وكنـت أسأله عن الشر مخافة أن يـدركني، فقلـت: يـا رسـول الله لقـد كنـا في

الجاهلية وشرّ فجاءنا اللهُ بهذا الخير فهل بعد هٰذا الخير من شر؟ فقـال: «نعم». فقلتُ: وهل بعد ذلك الشرّ من خير؟ قال: «نعم، وفيه دَخَن». قلت: وما دخنـه يـا رسـول الله؟ قـال: «قـوم يهتـدون بغـير هـديي ويستنُّون بغير سنتي تعرف منهم وتنكر». فقلت: يارسـول الله، وهـل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : «نعم دعاة على أبواب جهنم من أخذوه أدخلوه فيها». فقلت: صفهم لنا يا رسول الله. فقـال: «هـم مـن بنـي جلدتنا ويتكلَّمون بألسنتنا». قال: قلت: فما تـأمرني يـا رسـول الله إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسـلمين وإمـامهم». قلـت: فـإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فـاعتزل تلـك الفـرق كلهـا، ولـو أن تَعَضَّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت كذلك».

وهٰذا حديث عظيم فيه أصول مغيثة جِماعها أربعة أصول:

أوَّلها: أنَّ النفس ينبغي لها أن تفزع في سؤالها عـن مصـالح دينهـا ودنياها إلى من عندهم علم بالوحي، ومُقدَّمهم هـو النبـي ﷺ ، فـإنَّ حذيفة رضي الله عنه لمَّا ادَّكر فاعتبر ما كان عليه النـاس قبـل الإسـلام ثـم مـا صاروا عليه بعد أن جاءهم النبيُّ ﷺ أراد أن يسترشد من النبي ﷺ لِما سيكون، وما يأمر به النبي ﷺ ، وفي هٰذا إرشاد لنا أن يكون مفزعنا إذا ادلهمَّت الفتن واضطربت المحن إلى من عنده علم بالوحي، وإذا كـان النبي ﷺ قد مات كما قال الله ﷻ تصديقا لوعـده: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾[الزمر] فإنَّ النبي ﷺ تـرك لهـم وُرَّاثـا كـما في حـديث أبي الدرداء عند أبي داود وغيره من حديث داود بن جريـر عـن كثـير بـن قـيس عـن أبي الـدرداء رضي الله عنه أنَّ النبـي ﷺ قـال: «وإنَّ العلـماء ورثـة الأنبياء، وإنَّ الأنبياء لم يُورِّثوا درهما ولا دينـارا، وإنـما ورَّثـوا العلـم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر» فأرشد النبيُّ ﷺ إلى أنَّ ميراثه هـو العلـم،

وأنَّ القيِّمين على ميراثه هم العلماء.

فإذا أراد العبد أن يستفسر أمر دينه وأن يستفسر عن شيء كان من الجميل له أمنةً لدينه وسلامةً له أن يفزع إلى من عنـده علـم بـالوحي، والمُقدَّم منهم هو من رسخ علمه ومن رسخت معرفتـه وثبتـت قدمـه بالعلم.

والأصل الثاني: أنَّ المقصود من الفزع إليهم هو الاسترشـاد بـما يأمرون؛ كما قال حذيفة رضي الله عنه (فـما تـأمرني يـا رسـول الله إن أدركـت ذلك) فليس المقصود من سؤال العالم هو الاطِّلاع على رأيه أو الوقوف على موقفه، وإنما المراد من ذلك أن يأتمر سائله بما يقول، وأن يسترشـد بما يرشد، فإذا أمره بشيء أو أرشده إلى شيء أخذ به وعمل بـه لأنَّ لـه به النجاة في الدنيا والآخرة.

والأصل الثالث: الإخبار بأنَّ الخير والشر يرجعان في هٰذه الأمـة جماعا إلى خيرين وشرَّين:

فأما الخير الأول: فهو الذي كان ببعثته ﷺ .

وأما الشرّ الأول: فهو ما كان من الفتن واقتتال الصَّحابة رضي الله عنهم في فتنة عثمان، وما بدا من الخصومة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، وهذا أحسن الأقوال وهو اختيار أبي العباس ابـن تيميـة وأبـو الفضـل ابـن حجـر رحمهما الله تعالى.

وأما الخير الثـاني: فهـو مـا كـان بعـد حكـم معاويـة رضي الله عنه، ومـا استرسل في دول الإسلام من الحكم بالشريعة، فإنه يكون غالبًا فـيهم الخير، وفيهم من يهتدي بهدي النبي ﷺ ويستنُّ بسنَّته، فتعـرف مـنهم حقا وتنكر منهم باطلا.

وأما الشرّ الثاني: فهو الشرّ الـذي يكـون فيـه دعـاة عـلى أبـواب جهنم، وهو الذي انتهى إليه الناس بعـد ذهـاب الحكـم بالإسـلام في

أكثر بقاع الأرض، فإنه ظهر في المسلمين دعاة إلى أبواب جهنم، والمقصود بالدعاة إلى أبواب جهنم الدعاة إلى أعمالها، وأولئك الداعون إلى أعمال جهنم التي يدخل بها العبد النار سأل حذيفة النبي ﷺ عنهم فقال: (صفهم لنا يا رسول الله) فقال: «هم من بني جلدتنا ويتكلَّمون بألسنتنا» فهم منَّا وليسوا من غيرنا وليس لهم حلية تُجلِّيهم ولا صفة تفوق بينهم إلا ما وصفهم به ﷺ أنهم «من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا» فمنهم المرسِل لحيته، ومنهم الحالق لها، ومنهم المشمِّر ثوبه ومنهم المرخي ثوبه، فكلُّ من دعا إلى ما يخالف الشرع ممن يتكلم بألسنتنا ويتحلَّى بحليتنا فإنه من الدعاة على أبواب جهنم

والضابط له أن يكون داعيا إلى غير ما دعا إليه النبي ﷺ.

وأما الأصل الرابع: فهو الإرشاد إلى ما ينبغي أن يتمسك به العبد إذا ظهر دعاة جهنم، وقد ظهروا من عدَّة عقود في هٰذه الأمة الإسلامية، وأرشد النبي ﷺ إلى الثبات فقال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» فالسلامة للعبد إذا ظهر دعاة جهنم أن يلزم جماعة المسلمين المجتمعين على الحق من أهل الحَلِّ والعقد من أمير يأتمر فيهم ويحكم فيهم.

ثـمَّ قال رضي الله عنه: «فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام» فقال ﷺ: «فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعضَّ بأصل شجرة» يعني تشُدَّ بأسنانك على أصل شجرة «حتى يدركك الموت وأنت كذلك» أي تعتزل عزلة شديدة لا تخالط فيها الناس حتى تلقى الله تعالى

وإذا نظر العبد إلى هذا الأمر عَلم أنَّه صادر من الصادق المصدوق ﷺ وأنه أمر الرؤوف الرحيم ﷺ، فمن وقر في قلبه الإيمان بالنبي ﷺ وتصديق طاعته واتِّباعه=رأى أنَّ ما أمر به النبي ﷺ مقدَّما على رأي كلِّ أحد، ففي الصحيح أنَّ سهل بن حُنيف قال: (اتَّهموا الرأي فلقد

رأيتُني يوم أبي جندل) يعني يوم جيء بأبي جندل رضي الله عنه مقيَّدا (لو استطعت أن أرُدَّ على رسول الله ﷺ أمره لفعلت)، فإذا كانت هذه حال عرضت على صحابي وهو يرى النبي ﷺ أنه وقع في فؤاده ردُّ أمر النبي ﷺ فما القصد الذي يكون في قلوبنا عندما نستمع إلى آراء السياسيين أو حماسات الحقوديين أو تغريدات المغرِّدين إلا ما هو أشدُّ من ذلك، فلا عروة أوثق من الإيمان بخبره ﷺ والتمسك بما أرشد إليه ﷺ.

نسأل الله تعالى أن يعيذنا من شرِّ الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللّٰهمَّ أحينا على الإسلام والسنة، وتوفَّنا على الإسلام والسنة، اللّٰهمَّ آمن المسلمين في دورهم، وأصلح أئمتهم وولاة أمورهم، اللّٰهمَّ ارأب صدعهم ولُمَّ شعثهم وألِّف بين قلوبهم وحبِّب بعضهم إلى بعض، اللّٰهمَّ اجعل ولايتك فيمن خافك واتقاك، اللّٰهمَّ أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، اللّٰهمَّ إنَّا نسألك الهدى والتُّقى والعفاف والغنى، اللّٰهمَّ إنَّا نسألك بركةً في أعمالنا، ونسألك بركة في ذُرِّياتنا، اللّٰهمَّ اجعل لنا من أمرنا رشدا، وحبِّب إلينا الإيمان وزيِّنه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من عبادك الراشدين.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

❁❁❁❁

أربعة أصول من حديث حذيفة رضي الله عنه في الفتن

كلمة

لفضيلة الشَّيخ

صالح بن عبد الله العُصيمي

حفظه الله تعالىٰ

النُّسخة الإلكترونية الأولىٰ

موقع التفريغ للدروس العلميّة والبحوث الشرعيّة www.attafreegh.com

الشيخ لم يراجع التفريغ